

◄ مقالة

مع إقتراب مئوية حوزة قم المقدسة العلمية

# حول مؤنّس الحوزة العلمية في قم المقدّسة

## الفقيه الشيخ عبدالكريم اليزدي الحائري

هو الشيخ عبد الكريم بن المولى محمد جعفر اليزدي الحائري القمي، ولد في مهرجرد من قرى يزد في سنة ١٢٧٦ هجرية، وكان أبوه من الصلحاء ورجال القرية المعروفين، فوَّجه ولده إلى التعليم، وما أن تعلّم القراءة والكتابة وأثّقن مبادئ العلوم حتّى بعثه إلى يزد، وكان فيها عدد من العلماء المدرّسين، فقرأ عليهم العلوم العربية وسطوح الفقه والأصول، ثمّ هاجر للتكميل إلى العتبات المقدّسة في العراق وجاور سامراء، فأكمل السطوح على الشيخ فضل الله النوري، والميرزا إبراهيم المحلّاتي الشيرواني، وحضر على السيد المجدّد الشيرازي، والسيد محمّد الفشاركي الأصفهاني، والميرزا محمّد تقي الشيرازي، وغيرهم، فقد لازم حلقات دروسهم سنين طويلاً، وبعد وفاة المجدّد هاجر السيد الفشاركي إلى النجف الأشرف فصحبه الشيخ عبد الكريم وظلّ ملازماً لدروسه إلى أن توفّي في سنة ١٣١٦، فلازم درس الشيخ محمّد كاظم الخراساني وكان من أجلاء تلاميذه وبارزي حوزة درسه، وهب ط كربلاء قبل وفاة الخراساني، فالتقّ حوله عدد من الطلاب فاشتغل بالتدريس والإفادة، وكان الميرزا محمد تقي الشيرازي يبجله ويشير إليه ويعترف بفضلـه ومكانته، حتّى أنّه أرجع احتياطاته إليه، فلفت ذلك إليه الانتظار وأحلّه مكانة سامية في النفوس.

◄ **في ستّة المرجعية**

في أوائل سنة ١٣٣٣ هجرية سافر الشيخ عبد الكريم إلى إيران لزبارة مشهد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، وتلقّى دعوة من بعض وجوه «آراك» للإقامة عندهم، فهبط مدينة «سلطان آباد» مركز عراق العجم، وكان هناك بعض أهل العلم فعني بتدريسهم وتنمية مواهبهم، وكان أن ازداد عددهم وبلغ نحو ثلاثمائة طالب علم، وأقبل الطلاب عليه، وأصبحت المدينة مركز ثقافة وعلم على بساطتها. ولما انتقل إلى رحمة الله مراجع الشيعة في التقليد في تلك الآونة كالسيد محمد كاظم اليزدي، والشيخ الميرزا محمد تقي الشيرازي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، اتّجه إليه عدد من المقلّدين وحاز ثقة العامة فضلاً عن الخاصة، لما أسلفناه من تأييد الميرزا الشيرازي له.

وفي رجب سنة ١٣٤٠ هبط مدينة «قم» المشرفّة بدعوة من بعض رجال العلم فيها رغبة في إحياء أمرها الغابر وإعادة مجدها الدائر، فنظم من كان فيها من طّالِب العلم تنظيمًا عاليًا، وأعلن عن عزمه على جعلها مركزاً علمياً يكون له شأنه في خدمة الإسلام وإشادة دعائمه، وأخذت الحقوق الشرعية والهبات تتوالى عليه من البلدان الإيرانية، فوضع العطاء على الطلاب والعلماء، وبذل عليهم بسخاء، وسنّ نظاماً للدراسة، وقرّر ترتيباً مقبولا للإشراف على تعليم الطلاب وإجراء الامتحان السنوي، والناس يومئذ ذوو عقيدة راسخة وإيمان



ورد في القرآن الكريم ١١٣ مرة «بسم الله الرحمن الرحيم» في بداية كل سورة ما عدا سورة التوبة، وقد تكررت مرتين في سورة النمل حتى أصبح عددها في القرآن الكريم ١١٤ مرة، وتسمى بالبسملة اصطلاحا، وهي تشتمل على كثير من المعارف الإلهية، لا سيما الصفات الراجعة إلى ذات الباري عز وجل. وفي اختيار صفتي «الرّحمن الرّحيم» فيهما من البشارة للإنسان قد يطول بنا المقام من ذكرها، منها: كونه مورد رحمته وعطفه تعالى، وفيها إرشاد إلى تعليم الإنسان؛ وفي الصباح والمساء، والمودة في أفعاله، وجعل نفسه من مظاهر رحمته تعالى؛ ليعرف أنّه مؤمن بالله تعالى.

وقد وردت في الروايات الإسلامية عدّة خصائص للبسملة، منها: أنها أقرب شيء إلى الاسم الأعظم، وهو مفتاح كلّ كتاب سماوي، وأول ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله، وأعظم آية في كتاب الله. وهناك مواضع يستحب فيها ذكر البسملة، منها: عند الكتابة، وفي الصباح والمساء، وعند الخروج من البيت والدخول فيه، وحين اللوضوء، والقيام إلى الصلاة، وعند الجماع، وغيرها من الموارد. وكذلك ورد في السنة الشريفة مجموعة من الآثار



أضف إلى ذلك أنّ الصيغين الكبيرين - وهما أفضل مدرّسي النجف - قد تولّيا التدريس بدعوة منه خلال مكثهما في قم.

◄ **في مواجهة علمنة رضا بهلوي**

لاقي الشيخ عبد الكريم الحائري في طريق عمله لترسيخ أركان حوزة قم والقيام بشؤون الزعامة الدينية على وجهها من الصعاب والمتاعب ما يكفي لتراجع أكبر الرجال قلباً وأقواهم شكيمة وأوسعهم صدرًا، حيث كان لإنهاء حكم القاجاريين وتولي رضا بهلوي السلطة في إيران تأثير بارز في تقليص جهوده والحد من نشاطه، إذ رافقت ذلك أحداث ووقائع جسام، وكانت سيرة بهلوي واضحة في عزمه الأكيد وتصميمه على القضاء على الدين ومحو كلّ أثر لرجاله وشعائره ورسومه، فقد سجن العلماء الكبار، ونفى عدداً منهم، ودش السمّ لآخرين، وفعل الأفاعيل من هذا القبيل، وفي هذه الظروف كان الحائري يعمل على توسيع دائرة الحوزة العلمية في قم ونشر الدعوة، ودعم هيكل الدين، وإشادة مجد الإسلام بإعماح أحكامه وتطبيق نظامه. في ذلك الوقت، وفي تلك الظروف السود قاوم هذا العالم المخلص ديكتاتورية الملك وإباحيته ووقف في وجهه، مجتذاً كلّ إمكانياته وقابلياته، وموظّناً نفسه للعظائم ومضخّياً في سبيل دعوته بكلّ ما يملك.

وكانت هناك حوزات علمية صغيرة في خراسان وطهران، وتبريز وأصفهان، وغيرها من بلاد إيران، تمكّن الحاكمون من تفريق شملها والقضاء عليها، وبقي همهم منصرفاً للقضاء على حوزة قم إلّا أنّ حنكة الحائري وإخوانه، وصبرهم على المكاره وتحقّلهم للصعاب قد حال دون ذلك، وهكذا نمت البذرة الصالحة في تلك التربة الطيبة واتسعت الحوزة العلمية اتّساعاً غير مننظر، وماضت السنوات والأعوام، إلّا وازدهرت الحياة الدينية والثقافية، وتعددت الهيئات العلمية، وإذا بالكيان الذي شادته البطولات الخارقة والهمم العالية ضخماً جتّاراً بضاهي الثرثا رفعة وشموخاً.

كان الشيخ عبد الكريم الحائري من الناحية العلمية أحد أفاضل عصره، وفطاحل العلم، وأساطين الدين، ومن كبار الفقهاء وأجلائهم، له في العلوم الإسلامية

قدم راسخة وباع طويل، وقد شهدته معاهد العلم في النجف وكربلاء، واعترف بمكانته وتضلّعه كبراء المدرّسين وفحول المجتهدين، وقد مرّ رأي الميرزا الشيرازي فيه وإناطة ثقتـه به، إلّا أنّه بالرغم من جلالته قدره وتحقيقه ومقامه الرفيع كان بعيداً عن الادّعاء وترشيح النفس، وظلّ حتى بعد أن صار من أكبر مراجع التقليد شديد الاحتياط في الفتاوى، كثير التحقّق والترويّ. وكان له إلى أواخر أيامه درسان؛ أحدهما في الفقه، وكان يلقّيه صباحاً، والآخر في الأصول ويلقيه عصرًا. وكان كثير البز بالطلاب والعلماء، شديد العطف عليهم والعناية بهم، يرعى الصغير والكبير، وبالرغم من تعيينه لموئعي الرواتب وتوكيله للثقات من تلامذته وأصحابه بالقيام باللوازم والاستفسار عن النواقص، إلّا أنّه كان يتولّى بعض الأمور بشخصه ويباشرها بنفسه، وكان أعدّ لهم كلّ شيء قد يحتاجون إليه، حتّى أنّه بنى مستشفى خاصاً بالعلماء والطلاب ليشعرهم بالكيان المستقل والكرامة الموفورة التي كانوا يتمتعون بها. وفي الوقت الذي كانت فيه الشخصيات السياسية والتجارية والأمراء والقواد يهافتون على بيته لنغم أنامله وعرض أنفسهم لخدمته، كان يدور على غرف طّالِب العلم بمفرده للاطلاع على أحوالهم وأساليب معيشتهم، والوقوف على مدى عنايتهم بالدرس والمطالعة، وكان يحثّ المتساهلين ويشوقهم، ويمدح النشاط، ويمنح المتفوّقين في الامتحان جوائز قيمة، وكان يوصي الكلّ بالإخلاص في العمل والالتزام بتقوى الله تعالى، ولم يُسمع عنه رغم كثرة من كان يعيل به من الطّالِب أنّه ردّ طالباً أو كسر خارطاً أو أجّل إنساناً، ولذلك كان الكلّ ينظرون إليه نظرتهم إلى الأب الرؤوف.

◄ **وفاته**

ظل الشيخ الحائري كالطود الأشم يدير الكيان العلمي لحوزة قم ويدبّر أئنه المخاطر ويردّ عنه غائلة العدة، ورغم الكوارث والهنايات التي كانت تنزل بالشعب الإيراني المسلم على يد حاكمه الجبار يوماً بعد يوم، ولا سيما رجال العلم والصلاح، فكان يرى كبار العلماء من تلامذته يعانون آلام النفي والسجن، ويعاملون بمنتهى القسوة، ويُدسّ لهم السمّ في المنافي ويموتون خنقاً في السجون، ويرى السفور وقد فرض على المحجبات

الوجود كافة وما تسبّح فيه من كائنات.

وصفة (الرحيم) إشارة إلى رحمته الخاصة بعباده الصالحين المطيعين، قد استحقوقها بإيمانهم وعملهم الصالح، وحرّم منها المنحرفون والمجرمون. وفي رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: «والله إله كلّ شيء، الرّحْمَنُ بِجميع خَلْقِه، والرّحِيمُ بالمؤمنين خاصّةً».

الثاني: (الرحمن) يختصّ بالدنيا و(الرحيم) بالآخرة؛ لتقدم الدنيا على الآخرة في سلسلة العوالم والنشأت الزمانية، فيكون المقدم للمتقدم والأخير للمتأخّر، أو لذكر الرحيم مقرّوناً بالغفران والتوبة في جملة من الآيات الكريمة، والغفران وأثر التوبة في الآخرة؛ فيكون الرحيم مختصاً بها.

الثالث: (الرحمن) على وزن فعّال، وهي صيغة مبالغة تدل على الكثرة، و(الرحيم) على وزن فعيل، وهي صفة مشبهة تدل على الثبات والبقاء.

الرابع: إنّ (الرحمن) من الأسماء الخاصة بالله، ولا تستعمل لغيره، بينما(الرحيم)صفة تنسب لله ولعباده. فالقرآن وصف بها الرسول الكريم، حيث قال: «عزّيزٌ عَلَيْهِ ما عِنتُهُم خريصٌ عَلَيْكُم بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ».

وإلى هذا المعنى أشار الإمام الصادق عليه السلام، فيما روي عنه: «الرّحْمَن اسمٌ خاصٌ بصفةٍ عاقيةٍ، والرّحِيم اسمٌ عامٌ بصفةٍ خاصّةٍ».

الخامس: أنّ (الرحمن) ذات الرحمة الشاملة لكلّ محتاج إليها، وبجميع مراتبها التفضلية بلا اختصاص لها بنوع دون نوع، من الجماد والنبات والحیوان والإنسان وسائر المخلوقات، ومن أهم مصاديق الرحمانية تنظيم عالم التكوين بأحسن نظام ومن أجلى مصاديق الرحيمية تنظيم التشريع بأكمل نظام، وأثر التشريع



وذوات العقّة والنجابة فرضاً، وطّالِب الدين يساقون إلى الخدمة العسكرية زرافات ووحداً، والخمور تباع علناً، وعزاء سيّد الشهداء وزيارة قبر آل محمّد بالعراق وغيره محظورة يعاقب عليها، وأخيراً واقعة خراسان التي قُتل فيها الألوف من العلماء والسادة والأشراف والزوار الغرباء في مسجد «گوهرشاد» الملاصق لحرم الرضا عليه السلام حين دُعوا للاجتماع بخديعة، ووُجّهت المدافع عليهم فدفنتهم تحت الأنقاض ظلماً وعدواناً.. لقد كان الشيخ الحائري يرى ذلك كله بعينه وقلبه يقطر دمّاً لأنّه لا يستطيع دفع الضّر، وكان الوحيد بين العلماء حيث لم يتعرّضوا له شخصياً وكانوا يُبدون له الاحترام ظاهراً وجاملونه، وكان يحافظ على هذه الشكليات ليدفع بها الشرّ عن الباقيـن في بعض الحالات، وصار يرغب للعزلة وينزوي عن الناس لأنّه يرى ما يحلّ بهم ولا يقدر على مساعدتهم، وهكذا إلى أن مرض وتقلّبت عليه العوارض وتوفّي في ليلة السبت ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هجرية، فُلم الإسلام بموته، وخسر المسلمون به زعيماً كبيراً، وركناً ركيناً، وداخل النفوس من الخوف والهلع ما لا مزيد عليه، إذ كانوا يعتصمون به ويستظلّون بظلّه، وقد جرى له تشييع عظيم قلّ نظيره، ودفن في رواق حرم فاطمة المعصومة عليها السلام بقم، حيث مقبرته المعروفة اليوم، ورثته الشعراء وآبّنه العلماء.

◄ **آثاره العلمية**

ترك الشيخ عبد الكريم الحائري من الآثار (كتاب الصلاة) في الفقه، و(التقريرات) في أصول الفقه من بحث أساتذته الفشاركي، وقد استُخرج منه كتابه الآخر (درر الأصول)، وهو حاوٍ لمباحث الأصول برقتها ما عدا الاجتهاد والتقليد.

وقد أتيحت له فرصة تربية جيل كبير من الفقهاء الذين أضحووا فيما بعد عمد الدين، وأساطين الحوزة، ومراجع للفقه والأصول، وقد غطّى البلاد جلّ المتخرّجين من هذه الحوزة، فما من مدينة إلّا وفيها خريج من هذه الحوزة المباركة من تلامذته، أو من المتخرّجين على يدي (درر الأصول)، وهو حاوٍ لمباحث الأصول برقتها ما عدا

إنما يظهر بالنسبة إلى المؤمنين العاملين به اختص الرحيمية بالآخرة من هذه الجهة، فهو تعالى رحيم في الدنيا بالتشريع، وفي الآخرة بالجزاء عليه.

◄ **هل البسملة جزء من سور القرآن أم لا؟**

هناك الخلاف بين فقهاء الإمامية على أنّ هل البسملة جزء من سور القرآن أم لا؟ والمشهور منهم ذهب إلى أنّ البسملة جزء من كلّ سورة؛ ولذلك يجب تعيينها قبل الشروع في السورة، ولذلك يجوز الاكتفاء بها في صلاة الآيات، وهناك مجموعة من الفقهاء المعاصرين منهم -منهم السيّد الشبستاني دام ظلّه- يقول: لا، البسملة ليست جزءاً، لكنها واجبٌ، لذلك لا يجب تعيينها للشورة ولا يجوز الاكتفاء بها في صلاة الآيات.

وقال السيّد الخوئي رحمته الله في منهاج الصالحين مسألة ٦٨٣: البسملة جزء من كلّ سورة؛ فتجب قراءتها معها عدا سورة البراءة.

ورد عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سرقُوا أكرّم آية في كتاب الله: بسم الله الرّحْمَن الرّحيم».

وجاء في الخبر عن عيسى بن عئد الله، عن أبيه، عن جَدّه، عن علي ع عليه السلام قال: بلغته أنّ أناساً يُلزغون بسم الله الرّحْمَن الرّحيم، فقال: «هي آية من كتاب الله، أنساهُم إِيَّاهُ الشَّيْطَانُ»!
أما عند المخالفين فرغم ظهور الأدلّة على كونها من القرآن ومن الفاتحة ومن كلّ سورة، ومع أنّها قد كُتِبَتْ، وأُثْبِتَتْ في جميع المصاحف على مرّ العصور، ولكنّهم خالفوا الحقّ المبيّن، فاختلّفوا أشدّ الاختلاف فيها، واضطربوا أيّما اضطراب، وحاولوا التملّص منها وحذفها وعدم الاعتراف بقرآنيّتها؛ عناداً للحقّ، وعناداً للشّيعَة ولأهل البيت عليهم السلام، لمجرّد المعاندة، والمخالفة.

المصدر: الموقع الإلكتروني ربحانة

◄ مقالة

# عجائب بسم الله الرحمن الرحيم

◄ الشيخ مهدي المجاهد

والآداب في ذكر البسملة، منها: البركة، والاعتصام، والاحتجاز من الأشرار، والإجهاـر بها، وغيرها.
ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «أُعِيدَ نَفْسِي وَدِينِي وَأَهْلِي وَمَالِي وَوُلْدِي وَجَمِيعَ ما تَلَحُّقُهُ عَنَائِي وَجَمِيعَ نِعَمِ الله عِنْدِي بِبِسْمِ الله الرّحْمَن الرّحيم».

◄ **فوائد البسملة**

جاء في الخبر عن الإمام أبي مُحَمَّد العسْكَريّ عليه السلام قال: «قالَ الصّادِقُ عليه السلام: وَلَرَبِّما تُركَ في افْتِتاحِ أمرٍ بَغْضٍ شَبِعَتْنا بِسْمِ الله الرّحْمَن الرّحيم؛ فَيَمْتَنِعْهُ الله بِمَرْكُوبِهِ، لِيُنْتَهَـهُ على شُكرِ الله، والثَّناء عَلَـيْهِ، وَيَمْخُـوَ غَنـهُ وَضَمـهُ تُقْصِـيرِهِ، عِنْدَ تَرْكِهِ قولُ: بِسْمِ الله الرّحْمَن الرّحيم».

وورد عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَـيْهِ وآلِـهِ: «لَا تَرُدُّ دُعَاءَ أوْلَةٍ بِسْمِ الله الرّحْمَن الرّحيم، فَإِنَّ أَمْتِي يَأْتُونَ بِذِمِّ القِيَامَةِ، وَهُم يَقُولُونَ: بِسْمِ الله الرّحْمَن الرّحيم فَيُتَّقَلُّ حَسَنَاتُهُمْ في المِيزانِ، فَتَقُولُ الأُمَمُ: ما رَجَحَ مَوازِينُ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله! فَيَقُولُ الأنبياءُ: إِنَّ ابتداءَ كلامِهِم ثَلَاثَةٌ أَسْمَاءُ مِن أَسْمَاءِ الله تعالى، لَوْ وُضِعَتْ في كِفَّةِ المِيزانِ، وَوُضِعَتْ سَيِّئَاتُ الخَلْقِ في كِفَّةٍ أُخْرى، لَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُم».

◄ **الشيطان والبسملة**

عن العلاء بن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: